



من فقه التوريث ، هل يستقيم الظل والعود أعوج !؟

الملف الصحي للمصريين في عهد مبارك (3 - 9)

بقلم: رانف محمد الويشي

24 يناير 2010

إنقاذ مصر:

تناولنا في الحلقة الأولى ملف نهب أراضى الدولة من قبل حسنى مبارك وزمرته ، وتناولنا في الحلقة الثانية ملف نهب القطاع العام .. سنتناول اليوم الملف الصحي للمصريين تحت قيادة مبارك وابنه جمال الذي يشاركه الحكم كما يدل الواقع على الأرض .. إنه الملف الكارثة والذي يضرب بكل أسلحته في حاضر ومستقبل الأسرة المصرية ، وتأتى كارثيته في صمته ، ونعتقد أنه يزيد بعدة مرات في خطورته عما تفعله الهزائم العسكرية ..

تعتبر الصحة أحد أضلاع مثلث الأمن القومي في أي دولة .. سوف نقدم في حلقة اليوم بيانات وأرقاماً من مصادر مختلفة متخصصة وموثوق بها ، وكلها تؤكد أن مبارك قد ضرب الأمن القومي المصري في الصميم عندما أخل بواجباته في صحة المصريين .. إن شعار " موت وخراب ديار " هو أهم ما يميز أعمال مبارك في هذا الملف ..

إننا نضع العناوين الثمانية التالية بما فيها من تفاصيل لنوضح - قدر إمكاننا - حالة المصريين الصحية في عهد مبارك :

*** أولاً : سرطنة الأرض الزراعية ، ومواسير مياه للشرب وللصرف الصحي غير مطابقتين للمواصفات :**

إنها أم الكوارث التي ارتكبتها مبارك في حق الشعب المصري .. لم يتمكن أعداء مصر بجيوشهم المديدة أن يلحقوا بها ضرراً على مدى تاريخها كما فعل بها مبارك .. إن حكومات الفساد التي يقودها مبارك تقف وراء استعمال مواسير غير مطابقة للمواصفات والتي سرعان ما تصدأ وينتشر بها الثقوب ، يكفى ثقب واحد وصغير من هذه المواسير إلى خلط مياه الشرب بمياه الصرف الصحي ..

وضع خبراء متخصصون مشروع محطة الجبل الأصفر للصرف الصحي بتكلفة 400 مليون جنيهاً إلا أن مبارك أسند العملية إلى مكتب وزير فاسد بحكومته وهو إبراهيم سليمان - بالمخالفة الصريحة للقانون - وتم التنفيذ بتكلفة أكثر من ثلاثة أضعاف حيث بلغت مليار ونصف المليار جنيهاً ..

إن هذا الجرم الذي يرتقى إلى حد التدمير الجماعي للشعوب هو الذي يقف وراء الانتشار الغير مسبوق في انتشار أمراض الفشل الكلوي والسرطان وفيروس الكبد وضغط الدم والضعف الجنسي بمصر .. نستعرض هنا بعض أقوال ودراسات المتخصصين في هذا الشأن :

1- تحتل مصر المرتبة الأولى عالمياً في أمراض الكبد و السرطان والفشل الكلوي وكذلك ضغط الدم (26 % من عدد السكان

مرضى بارتفاع ضغط الدم) ..

2 - طبقاً لدراسة أعدها أ.د. كامل كمال الخبير بقسم المجتمعات الريفية والصحراوية بالمركز القومي للبحوث في عام 2008 فإن 28 % فقط من سكان مصر يتمتعون بالصحة الجيدة. كما صدر تقرير في 17 ديسمبر 2009 للمنظمة المصرية لحقوق الإنسان تحت عنوان " تلوث المياه قنبلة موقوتة تهدد حياة المصريين " وذكر أن 76% من مياه القرى المصرية مخلوطة بمياه الصرف الصحي وهو ما يؤدي إلى 100 ألف حالة فشل كلوي سنوياً بالإضافة إلى سلسلة من الأمراض الأخرى ..

3 - أورد الجهاز المركزي للمحاسبات في تقريره في عام 2006 أن هناك 79 ألف حالة انفجار بمواسير المياه والصرف الصحي في القاهرة وحدها خلال العامين 2004 / 2005 نتيجة عدم مطابقة تلك المواسير للمواصفات العالمية ..

4 - يقول تقرير الجمعية الأفريقية لأمراض الكبد عن عام 2006 أن 12 مليون مصري مصابون بالكبد الوبائي ، أضاف التقرير أن بعض محافظات الدلتا - مثل المنوفية - تبلغ نسبة الإصابة بها 62 % من السكان .. كما أكد د. أحمد مدحت نصر - رئيس الجمعية المصرية للفيروسات والكبدية - في 25 ديسمبر 2009 أن عدد المصابين بالكبد بلغ 14 مليون مصري ، وأشار إلي أن الفيروس الكبدي «C» قد دخل كل بيت في مصر تقريباً ، مؤكداً أن الإحصائيات الحديثة أثبتت وجود مضاعفات مستمرة نتيجة الإصابة بالفيروس مثل التهاب الكبد الوبائي المزمن وتليف الكبد والسرطان والغيوبية الكبدية، جاء ذلك خلال افتتاح المؤتمر الثاني عشر لأمراض الكبد والجهاز الهضمي بجامعة أسيوط ..

وفي نفس المؤتمر قال د. عبد الغني عبد الحميد سليمان - رئيس قسم الجهاز الهضمي والكبد بجامعة أسيوط - أن سرطان الكبد يعد ثاني أنواع السرطانات شيوعاً في مصر ويعد من الأسباب الرئيسية للوفاة بين المواطنين ، وأوضح أن نصف الوفيات من المصريين في الأعمار ما بين 25 إلى 50 سنة ترجع للأمراض الفيروسية التي تصيب الكبد ومضاعفاتها، وعادة تكون موجودة دون أن يشكو منها المريض وربما تتكشف عند الفحص الإكلينيكي أو عند إجراء تحاليل طبية..

وأكد د.ماهر العسال - عميد كلية الطب - في نفس المؤتمر السابق أن 12% من سكان مصر مصابون بالفيروس «C» وأشار إلي أن نسبة الإصابة في مصر بلغت نحو 4% علي مستوي العالم وفقاً للدراسات العلمية الحديثة الصادرة عن أكاديمية البحث العلمي (يبلغ سكان مصر 0.7 % من سكان العالم) ..

5 - يقول المشروع القومي لمكافحة السرطان في تقريره الصادر في عام 2008 أن هناك مائة ألف حالة جديدة على الأقل تصاب بالسرطان سنوياً حيث تضاعف السرطان في عهد مبارك إلى ثمان مرات لتحتل مصر أعلى نسبة في السرطان بالعالم ..

6 - أصدرت المنظمة الدولية لحقوق الإنسان تقريراً في يونيو 2008 صنفت فيه مدينة قها بمحافظة القليوبية كأعلى منطقة في العالم تتكبد وفيات بمرضى فيروس سي والفشل الكلوي بسبب تلوث مياه المختلطة بالصرف الصحي ..

7- طبقاً لمنظمة الصحة العالمية فإن 80% من المرضى المصابين بفيروس (سي) يتطورون إلى التهاب كبد مزمن ، ومنهم 20 % يصابون بتليف ثم إلى السرطان والذي يعتبر من أكثر أنواع التهابات الكبد بطناً في إظهار آثاره المدمرة على الكبد على مدى سنوات طويلة ويسمى القاتل الصامت ..

8- كنتيجة لضياح هيبية مصر إفريقيا لجأت بعض دول الحوض إلى بناء السدود على النيل مما حد من تدفقه ، كما ساهم توقف البحوث في جميع المجالات العلمية ومنها الزراعية في تدهور دخل مصر المائي ، أدت تلك العوامل إلى الاعتماد على مياه الصرف الصحي الغير معالجة في الزراعة ، وهو ما أدى إلى تفاقم ارتفاع معدلات الكثير من الأمراض الخطيرة السابقة ..

9 - ذكرت منظمة الصحة العالمية في تقرير لها في عام 2008 أن 95 % من مرضى السل يتركزون في 9 دول منها مصر ..

* ثانيا : أمراض الاضطراب النفسي في عهد مبارك :

- طبقا لتصريح الدكتور ناصر لوزة أمين عام الصحة النفسية لصحيفة الدستور المستقلة في 19 سبتمبر 2007 فإن عدد المرضى النفسيين في مصر قد وصل إلى 20 مليون مواطن .. يقول د. أحمد عكاشة وهو خبير عالمي بالطب النفسي أنه يوجد ضمن الرقم السابق مليون ونصف المليون مواطن مصابون بالاكتئاب ، ويضيف د. عكاشة أن حالة الاكتئاب الوطني التي يعيشها المواطن المصري هي نتيجة طبيعية للفقر وإحساس الشعب بضيق حقه في الثروة الوطنية وانعدام فرص التغيير أو المشاركة السياسية .. ويكمن الحل – في نظر د. عكاشة – في التغيير ، ليس فقط في الوجود بل الأهم في السياسات مع رغبة صادقة في الإصلاح وإطلاق الحريات ، إن خطورة هذا المرض الصامت هو أنه سيصل – كما يقول د. عكاشة – إلى ثاني أخطر الأمراض في عام 2015.. وفي حديثه لهيئة الإذاعة البريطانية في 1 سبتمبر 2009 يضيف د. عكاشة أن هناك 8 آلاف سرير فقط للمرضى النفسيين في مصر بمعدل سرير لكل 10 آلاف مريض نفسي ، وهو رقم ضئيل للغاية ..

- في تقرير صدر في عام 2006 عن مركز السموم التابع لجامعة عين شمس ، فإن عدد المنتحرين قد وصل إلى 11 ألف حالة في عام 2005 ، رغم أن المركز المذكور ليس لديه إحصاء شامل على المستوى القومي ..

ويقول د. أحمد حمدي أستاذ علم الاجتماع في صحيفة الفجر 21 ديسمبر 2009 أن الانتحار قد تطور في مصر من فردي إلى جماعي ، فهناك آباء لا ينتحرون بمفردهم ولكنهم يقتلون قبل شروعهم في الانتحار بقية أفراد الأسرة ، ويضيف د. أحمد حمدي أن مجموعة من طلبة كلية الخدمة الاجتماعية رصدت في بحث استقصائي حول حالات الانتحار الجماعي ، أنه من بين كل 10 حالات انتحار توجد حالتان علي الأقل للانتحار الجماعي حيث يفضل الأب الذي يرغب في الانتحار الموت مع زوجته وأبنائه فيقوم بقتلهم أو حرقهم فجأة ، في حين توجد عائلات أخرى قد انتحرت بالفعل بموافقة جميع أفرادها ..

* ثالثا : أمراض القلب :

تحتل مصر المرتبة الأولى عالميا في أمراض القلب في الفئة العمرية 25 / 35 عاما .. جدير بالذكر أن نذكر أن دراسة طبية أمريكية أعلنت عنها وكالات الأنباء العالمية في 28 أبريل 2008 ومفادها أن المدير السيئ يتسبب في أمراض قلبية لموظفيه (لا بد أن نذكر أن المدير السيئ هنا هو مبارك فقد انتشغل منذ أن ابتليت به مصر بتأمين وجوده ونهب ثروات مصر وهو ما أدى إلى نتائج وخيمة على جميع الأصعدة التي يعيشها المواطن المصري) ..

* رابعا : غياب التخطيط السكاني :

يعتبر التخطيط السكاني أحد أهم العوامل المؤثرة في صحة المواطنين ، لقد أدى إهمال نظام مبارك له إلى ما يلي :

1- ازدياد غير مسبوق في الازدحام وهو ما أدى إلى زيادة نسبة التلوث في القاهرة الكبرى لتصل إلى 11 مرة عن المعدل العالمي وهناك مجموعة من الأمراض التي تصاحب ذلك أهمها السل ..

2- محاصرة القاهرة الكبرى بمناطق من المساكن العشوائية تفتقد إلى الحد الأدنى للمعايير الصحية من مياه وصرف صحي ، لا نبالغ إذا قلنا أن تلك البؤر العشوائية تشكل حزاما ناسفا وقنابل موقوتة في صميم الأمن القومي المصري ، ولا تقل خطورتها عن خطورة دولة معادية تكمن على الحدود لتهدد أمن الوطن ، هذا بالإضافة إلى بعدها الإنساني والذي يشكل ظلما اجتماعيا فادحا يصيب قطاعا عريضا من المواطنين بأمراض نفسية وعضوية خطيرة ..

لقد كشفت تقارير عدة صدرت من الأمم المتحدة أن عدد المصريين الذين يعيشون في مناطق العشوائيات قد وصل إلى 16 مليون

نسمة ، وأن مصر بها 1200 منطقة عشوائية منها 20 منطقة غير قابلة للتطوير ويجب إزالتها، وأن القاهرة وحدها تضم 81 منطقة عشوائية وأن تلك العشوائيات زادت بنسبة 800 % منذ عام 1985 ..

3- انتشار أكوام القمامة في شوارع مصر بصورة أجبرت المواطن على التعايش معها حتى ضمن المناطق الراقية ولم تعد تشكل أدنى مسئولية أو خجل لدى نظام مبارك ، يحدث ذلك في بلد تمثل السياحة فيه عنصرا هاما من العناصر الأربعة للدخل القومي ..

*** خامسا : الإهمال وغياب الرقابة الصحية :**

تخلى الجهاز الرقابي في عهد مبارك عن دوره في حماية صحة المصريين لشعوره باليأس بعد أن أدرك أن القيادة السياسية – المشغولة حتى آخرها بتأمين وجودها ونهب الثروة - غير جادة في الإصلاح الصحي .. نستطيع أن نقيم أخطاء الإهمال وغياب الرقابة الصحية في النقاط التالية :

1- قلة سيارات الإسعاف : صرح اللواء أحمد فرج مساعد وزير الصحة للشئون المالية والإدارية في 17 مارس 2008 أن مصر بها 1857 سيارة إسعاف فقط منها ألف سيارة لا تعمل ، أي سيارة لكل 85 ألف مواطن تقريبا بينما المتوسط العالمي هو سيارة لكل 2500 مواطن وسيارة لكل 500 مواطن في كل من أمريكا وأوروبا واليابان وإسرائيل ..

(يحدث ذلك في بلد تنتشر فيه عشرات الآلاف من سيارات الأمن المركزي من ماركة مرسيدس التي تعمل بكفاءة ممتازة ، مع ما يصاحب ذلك من تضخم فاحش في ميزانية وزارة الداخلية في كل عام وانكماش فاضح في الوزارات الخدمية والتي منها التعليم والصحة) ..

كما أكدت منظمة الصحة العالمية في إحصائية صادرة لها في يونيو 2008 بمناسبة مرور 105 على إنشاء الإسعاف في مصر أن 40 % من ضحايا حوادث الطرق في مصر - والبالغ عددهم 6450 قتيل في عام 2007 - كان يمكن إنقاذهم في حالة وصول سيارة الإسعاف في الوقت المناسب ..

2- إساءة تخزين القمح مما يؤدي في النهاية إلى زيادة الأتربة فيه والحصى ونمو السوس نتيجة الرطوبة العالية في أماكن التخزين وهو ما يؤدي انتشار الإفرازات السامة ومن ثم سرطنة القمح ..

3- قدم عضو مجلس الشعب عن الإخوان المسلمين د. فريد إسماعيل استجابا إلى وزارة الصحة في 28 فبراير 2007 واتهم وزارة الصحة بالإهمال في برنامج مكافحة العدوى ، وقد ذكر النائب إن الإصابة بفيروس (سي) باتت أخطر وأقطع من أي وباء شهدته مصر في تاريخها ، وأضاف بقوله " لم نعرف ولم يعرف أي بلد وشعب في العالم وباء يستمر كل هذه السنين بنفس الخطورة وبأعلى درجة انتشار دون أن تحاصره الدولة ودون أن تقاومه ، والأكثر مرارة دون أن تعلن عنه وتحذر منه" ..

4 - ذكر رئيس الإتحاد الدولي للكبد د. جمال عصمت في ندوة عقدتها نقابة الأطباء في 24 يونيو 2008 بأن 70 % من حالات العدوى بفيروس " سي " تحدث في المستشفيات الحكومية بسبب حالات الإهمال والتسيب السائدتين في قطاع الصحة..

5- صدرت دراسة في 25 نوفمبر 2009 من المجلس القومي للخدمات والتنمية الاجتماعية تؤكد أن مياه النيل قد تلوثت بفعل المزارع السمكية ومخلفات المصانع ، وينتج عن ذلك التلوث إصابة المواطنين بالفيروسات الكبدية وتسمم الدم وتهدد صحة الأطفال..

6- حسب تقرير صدر من وزارة الصحة في بداية 2009 فإن 80% من غرف مستشفيات مصر غير مطابقة للمواصفات العالمية وناقلة للعدوى التي لم تعد قاصرة فقط على المرضى ، ولكن أيضا الأطباء والممرضين والفنيين والعمال بمن فيهم جامعا قمامة المستشفيات ..

7- فجر د. عمرو قنديل وكيل وزارة الصحة في استجواب أمام لجنة الصحة في مارس 2009 مفاجأة من العيار الثقيل عندما أكد أن 25 % ممن يجرون عمليات جراحية بالمستشفيات الحكومية يصابون بفيروس الكبد الوبائي "سي" نتيجة انتشار العدوى بها ، وأضاف أن هذا الفيروس يتحول من سالب إلى موجب بين المرضى نتيجة ارتفاع نسبة العدوى داخل المستشفيات إلى 19%، وبرر ذلك بأنه لا يوجد ميزانية بالوزارة لمكافحة العدوى داخل تلك المستشفيات، ولا يوجد مسئولون مختصون في كل مستشفى ..

8- انتشار ظاهرة " أدوية بير السلم " وهي عبارة عن أدوية مصنعة داخل مصر من قبل جهات انعدم الضمير لديها حيث تقوم بتصنيع أدوية تحمل نفس الشكل لأدوية غالية الثمن لأمراض خطيرة مثل القلب والكبد والفشل الكلوي والسرطان والسكر والضغط لكنها إما معدومة الفاعلية أو مضره ، النتيجة هي موت المرضى بدلا من شفائهم بعد أن يدفعوا نفس الأسعار التي يحملها الدواء الأصلي ..

9- انتشار الأطعمة الغير مطابقة للمواصفات .. فقد تحدث مجموعة من الباحثين في الأسبوع الأول من نوفمبر 2009 (د. عمرو راضى شلبي الأستاذ بمعهد تكنولوجيا الأغذية ، د. أحمد فرحات الباحث الأول بقسم الأغذية الخاصة والتغذية بمركز البحوث الزراعية ، د. رنده شريف استشاري طب الأطفال) عن الازدياد الغير مسبوق في نسبة المواد الحافظة في الأغذية (مواد النتريت ، ميتا باي سلفيت ، الفورمالين) التي تقدم للمصريين وخاصة الأطفال (25 مليون طفل مصري) بسبب الجشع لدى أصحاب تلك المصانع ورغبتهم في تحقيق الربح السريع من خلال تلك المواد التي تحفظ الأغذية في المخازن لفترات طويلة وتكسبها مذاقات مميّنة ..

وكشفت دراسة أخرى صدرت عن غرفة الصناعات الغذائية بالتعاون مع كلية الزراعة بجامعة الإسكندرية في نوفمبر 2009 ومفادها أن 80 % من الأغذية المطروح بالأسواق تشكل خطرا على صحة المواطن بسبب إنتاجها في مصانع أسمتها بـ " مصانع بير السلم " ، وأضافت الدراسة أيضا أن 18% من ميزانية وزارة الصحة تذهب لعلاج أمراض ناتجة عن تلوث الغذاء التي تنتجها تلك المصانع التي لم يعد وجودها يقتصر علي القرى والمناطق العشوائية فقط بل أصبح عددها داخل المحافظات خاصة القاهرة إلى أمر مريع ..

*** سادسا : نقص الغذاء والدواء :**

إذا قلنا في بداية المقال أن قطاع الصحة هو أحد أضلاع مثلث الأمن القومي في أي دولة ، فإننا وبلا مبالغة نستطيع أن نقول أن نقص الغذاء والدواء هما قاطرتا الصحة ..

- **عن نقص الغذاء فحدث ولا حرج عن ندرته ،** يكفي نظرة إلى أرقام الاستيراد منه كي تلقى الرعب في قلب كل مصلح لهذا البلد .. مصر الزراعية أصبحت تستورد 80 % من الفول المدمس وخصوصا من كندا ، والأولى عالميا في استيراد القمح والرابعة عالميا في استيراد الذرة ، كما تستورد 40 % من زيت الطعام .. في 10 أبريل 2008 أصدر البنك الدولي بيانا ذكر فيه أن مصر على رأس 33 دولة مهددة بأزمة غذائية حادة ومشاكل اجتماعية خطيرة مرشحة للاستمرار لفترات طويلة ..

وفي 1 سبتمبر 2009 صدر تقرير من مركز المعلومات بمجلس الوزراء أكد أن 33 % من شعب مصر يتناولون إفطارهم الرمضاني في موائد الإفطار ..

- **عن الدواء فإن أحد أهم واجبات الدولة هو توفير الدواء لمواطنيها بسعر يتناسب مع دخولهم ..** إننا نلاحظ مما سبق عرضه أن أغلب الأمراض التي أصابت المواطن المصري هي من صنع الحكومة نفسها ، لكن النظام الذي أجرم في الأولى نراه يجرم هنا في الثانية وهو التخلي عن واجباته في علاج من تسبب بمرضهم من المواطنين ..

لقد لجأ نظام مبارك إلى المحرمات في قطاع الصحة وهو طرح شركات الأدوية إلى مجموعة من " الواجهات " التي تدور في فلكه أو إلى جهات مشبوهة وبثمن بخس كي يتم تدويرها بعد ذلك لصالح أحد كبار الفاسدين في نظام مبارك الدولة ..

(أوردنا في الحلقة الثانية من تلك الدراسة – والتي تناولت نهب القطاع العام - نموذجا لشركة قطاع عام كانت تحقق أرباحا ونجاحا في أعمالها وهي شركة سيد للأدوية ، وأوضحنا بلسان أحد المسؤولين بها ومن خلال الأرقام كيف نهبها نظام مبارك ببيعها بتراب الفلوس لـ " واجهات " تعمل لحسابه .. النتيجة المحتومة لذلك هو سيطرة الأجانب على صناعة الأدوية في مصر – وهي صناعة لا تقل أهمية عن صناعة السلاح وأحداث العراق أثناء حصارها مازالت ماثلة – والنتيجة الطبيعية لذلك هي الارتفاع المستمر لأسعار الدواء وتدهور صحة المجتمع المصري والذي يمثل الفقراء والمعدمون النسبة الغالبة فيه) ..

لقد قدر المراقبون لملف الصحة في عهد مبارك أن مصر فقدت عشرة ملايين مواطن تقريبا من سكانها وهم عبارة عن وفيات سببتها الأمراض التي سبق ذكرها والتي صنعتها نظام مبارك خلال سنوات حكمه ..

*** سابعا : قبل أن نغلق ملف الصحة فلا بد أن نشير إلى دراسة - ضمن مبكيات نظام مبارك الرديء - صدرت عن منظمة الصحة العالمية في 9 أبريل 2007 ومفادها أن الإسرائيليين هم أقل شعوب العالم تغيبا عن العمل بسبب جودة المستوى الصحي الذي يتمتعون به ..**

في الحلقة القادمة – إن شاء الله – سنفتح ملفا آخر من ملفات حكم مبارك ، فإلى اللقاء ..

رائف محمد الويشي

سانت لويس – ميزورى – أمريكا

elwisheer@yahoo.com

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :

www.thowarmisr.com